



## • الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا •

الشيخ/ مالك انجاي ••

مقدمة:

أيها المشايخ الكرام والأساتذة الفضلاء والوجهاء النابهون... الأخوة الطلبة أبناء وأخوة. أحييكم تحية إسلامية مباركة طيبة، وأفتح هذه الأمسية بتقديم شكرنا إلى منظمة الدعوة الإسلامية، وما دام لا يمكن ذكر الجميع فإننا نذكر اسم الأستاذ/ عبد السلام سليمان سعد لكي يفهم كل فرد نفسه خلال هذا الاسم.

أشكركم على هذا الحضور وعلى حسن ظنكم بي الشيء الذي حملكم على أن تظنوا بأنني أستحق أن تتركوا منازلكم وتحضروا هذا اللقاء وتستمعوا إلى حديثي، وحتى لا أطيل عليكم بهذه المقدمة فلن المطلب مني أن أتحدث عن الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وفي الحقيقة الحديث في هذا الجانب طويل لا أملك إلا أن أختصره - ولكن اختصاراً غير مخل إن شاء الله. لأن هذا التاريخ - تاريخ غرب إفريقيا - يمكن أن ينقسم إلى تسع فترات.

**فترة العرب:** تبدأ فترة العرب بمجملات عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه في السنوات الهجرية ٢١، ٢٢، ٢٣، وهذه الحملات بعضها وصلت إلى بلاد غانا. ويقدر المؤرخون أن هذا

• قدمت هذه المحاضرة ضمن فعاليات دورة ابن عباس الدعوية التي أقامتها منظمة الدعوة الإسلامية ١٩٩٥م.

•• أمير جماعة عباد الرحمن بالسنتال.

صادف عام ٦٢٤ ميلادية، يعنى في السنوات الأولى من العهد الإسلامي، وفي القرن الهجري الأول ولكن الجيش الغاني تصدى للجيش الإسلامي فردّه، وقد انقطع بعض الجنود ويقوا في غانا إلا أن قلة عددهم جعلتهم يرتدون عن الإسلام ومع ذلك نجد أثرهم واضحاً. ومن ذلك أن ملك غانا قبل ذلك كان يمنع القادمين من الشمال عرباً كانوا أم برابرة من الإقامة في غانا. ولكنه رخص لهؤلاء بالمقام بعد ذلك - فبنوا هناك مدينة "كومبي صالح" التي كانت قريبة من عاصمة الملك، وهذه المدينة تم اكتشافها في سنة ١٩٦٤م وفي آثارها المساجد والقبور والمباني وأنواع المخطوطات المزينة بالآيات القرآنية دلالة على أن هذه المدينة الإسلامية التي كانت بالقرب من عاصمة غانا كان لها شأن. إذا هذه الفترة ميزتها أن الغانيين انفتحوا وأرخوا آذانهم للاستماع إلى المسلمين وأخذوا الوكالة التجارية منهم - وأخذوا يستعملون المسلمين المحليين الذين يسمون "جولا" ومعناها التاجر المتجول. وميزة أخرى هي أن كل قبيلة كانت تخاف جارتها وتظن كل عمل تعلمه سحراً يضرها، فخور الملك هؤلاء التجار المتجولين بأن يتجولوا في بلاده آمنين سالمين. وفي كل مدينة وصلوها يكونون مكفولين لنائب الملك في تلك المدينة فأزال بذلك المخاوف التي كانت تناب القبائل، وفي هذه الفترة أخذ الإسلام ينتشر، وتعلمون أن بعض الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامي كواقعة نهروان وبعض ثورات الخوارج جعلت من الصحراء محبباً أو مهاجراً للكثيرين من الشيعة والخوارج. فكان هؤلاء أول من بدءوا دعوة منظمة ولا يشاركونهم في ذلك إلا القوافل التجارية التي كانت تأتي من الشمال إلى الجنوب. وفي هذه الفترة بدأ الإسلام ينتشر إثماراً واسعاً وسريعاً.

**فتوة البهابة:** تبدأ فترة البرابرة بإنشاء دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري في حوالي منتصف القرن الخامس الهجري وتعرفون أن الشيخ الجزوني أول داعية معروف جاء إلى هذه

البلاد من أجل التعليم، وكان من وجهاء البرابرة وقد حج إلى مكة عن طريق القيروان وبرقة ومصر إلى الحجاز ذهاباً وإياباً ولاحظ أن تطبيق الإسلام في هذه البلاد مخالف تماماً لما في بلاد مكديونا . لذلك رأى في رجوعه عندما مر بمدينة القيروان أن يتصل بكبير علماء المالكية فيها أبو عمران الفاسي ويطلب منه طالباً أو خريجاً من مدرسته ليصحبه إلى بلاده ليعلم الناس ويؤدبهم تأديباً إسلامياً ، وقد وفق في مسعاه ذلك فذهب معه عبد الله بن يس . ولكن نسبة لأن هؤلاء المسلمين لم يكن لهم عدد معين من الزوجات بل كانوا يعددون بلا قيود ولا يراعون الحلال والحرام غالباً في ما كلهم ، صعب على هذا الداعية توعيمهم ، وقد تعدى الأمر إلى تهديده بالقتل مرة . ونتيجة لذلك هاجر عنهم وأتجه إلى جزيرة يدا في نهر السنغال .

يقول المؤرخ الدكتور / أحمد شلبي إن هذه الجزيرة هي جزيرة "سندوني" في ساريو عاصمة السنغال القديمة حيث يقع الآن المسجد الكبير أو الجامع الكبير ، هناك مرفأ يقول هذا العلامة دكتور / أحمد شلبي بأن هذه الجزيرة تسمى سندوني الآن ، كانت مقراً لعبد الله بن يس وهنا ترسي ، وهذه الجزيرة أقطعها الشيخ / عبد الله بن يس ملك من التكارير اسمه / وارجابي أجماي ويقول العلامة ابن خلدون أن اسمه وارجابي بن رابيس - وهذا الملك كان أول من صدق عبد الله بن يس وآمن بالإسلام وكان اهتداؤه إلى هذا الدين فتحاً سلمياً أدخل الإسلام إلى قلوب الكثيرين من رعيته .

وفي هذه الفترة كما تعرفون كانت مملكة غانا قد استولت على مدينة أودوقست وكانت مدينة إسلامية . وتقع في مورانيا في موقع يسمى "ديكداون" وفيها كانت الغلبة العسكرية في الحقيقة لغانا إلا أن هذه الغلبة العسكرية تولدت عنها هزيمة ثقافية . حيث نجد أن الإداريين والتجار الغانيين الذين دخلوا هذه المدينة قد أسلم أكثرهم وكانوا سبباً لانتشار الإسلام في مملكة غانا ، حتى عندما فتح المرابطون غانا عام ١٠٧٦م كان كثير من الغانيين قد أسلموا . وهناك قصة تحكي في زمان اقراض دولة غانا تدل على كثرة

المسلمين في ذلك الوقت ، تقول القصة أن أهل غانا كانوا كل عام يختارون أجمل بنت من بنات الأسر الشريفة ويقدمونها قرباناً للحية كبيرة تسمى "وقدويدا" وفي سنة من السنين وقع الاختيار على بنت كانت مخطوبة لفتى اسمه أحمد الذي كان يوصف بأنه قليل الكلام فحاولوا إقناعه لينازل عن خطيبته لتجعل قرباناً للحية لكنه رفض . ولما كانت القواعد تفرض إجباره على النزول أو عدم الالتفات إلى معارضته لأن البنت ثرية وأجمل بنت ، عزموا على تقديمها قرباناً للحية التي كانت في غابة كثيفة لا يدخلها إلا الكهنة . فذهب أحمد واختبأ قريباً من فوهة الغار الذي كانت فيه الحية ، وجاء الكهنة فوضعوا البنت في المكان المخصص وانصرفوا . . وبعد قليل كما تقول القصة خرجت الحية لتلتهمها ، قتلها هذا الشاب بسيفه الحاد وقطع رأسها . . وفجأة نبت رأس آخر فقطعها ، وتكرر المشهد إلى أن بلغ سبعة رؤوس ، هنا تقول القصة سقطت الحية ميتة . ويقولون إن الأماكن التي وقع فيها كل رأس هي مناجم الذهب الكبيرة المنتشرة حول نهر السنغال هكذا تقول الأسطورة . وهنا تقف الأسطورة ولا تذكر أي تأديب جرى لأحمد ، ومعنى هذا أن أحمد لم يؤدب لأن المسلمين كانوا أغلبية ولم يسمحوا للوطنيين بتأديب هذا المسلم الذي كفر بالوثنية وكذب الخرافة التي يتبعها الوطنيون .

إذا هذه القصة تدل على أن الإسلام أتشر في العاصمة الغانية ، وخصوصاً بعد إسلام أول ملك غاني وذلك بعد أن خيره المرابطون بين الإسلام ويظل ملكاً وبين ترك الملك ليصير إنساناً عادياً ، فأختار الإسلام كما ذكرت سنة ١٠٧٦م ، ولكنه لم يدم استيلاء المرابطين على غانا سوى قريباً من عشر سنوات ، فإنهم أخرجوا منها في سنة ١٠٨٦م بعد مضي حوالي عشرة أو أحد عشر عاماً .

ولأن حروب الفتح كانت طويلة الأمد ، وأن غانا انهزمت هزيمة ثقافية بالغلبة على أودقست المدينة الإسلامية الكبيرة فقد ثبت للملك على إسلامه ، وبعد سقوط المرابطين

وجلائهم عن غانا أيضاً، لم يحدد أي مصدر أن أي ملك غاني أرتد عن الإسلام. إذاً الإسلام ثبت في غانا علماً بأن دولة غانا قد استمرت إلى سنة ١٢٤٠م وخلفتها دولة مالي **دولة مالي**: بدأت دولة مالي بعد انهيار دولة غانا عام ١٢٤٠م واستمرت حتى عام ١٥٨٤م - وكان كل ملوك مالي من البداية إلى النهاية مسلمين. ومن يطلع على رحلة ابن بطوطة يدرك كم كانت دولة مالي مجتهدة في نشر الإسلام وتطهيره وتطهير عقائده ونشر العلوم الإسلامية، فالملك منسا موسى صاحب الحج الشهير عاد من الحجاز بكثير من العلماء - وما يدل على تقدم العلوم الإسلامية في دولة مالي أن أحد العلماء الذين جاء بهم الملك منسا موسى لما أدخل إلى المعهد تمبكتو ليصبح معلماً فيه أختلف مع علماء الذين تمبكتو فاضطر إلى أن يعود إلى جامع القرويين ليزداد علماً حيث أحس بأن العلماء الذين يتولون التدريس بهذا المعهد أعلى منه مرتبة في العلوم الإسلامية واللغة العربية وهذا مثال قابل للتكرار.

وكما هو معلوم فإن مدينة تمبكتو قد أنشئت في عهد الإسلام، فمؤرخ تمبكتو عبد الرحمن السعدي يقول في وصف تمبكتو: "مدينة ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن"، والمعنى أن هذه المدينة مدينة إسلامية في نشأتها. إذاً دولة مالي وسعت دائرة الإسلام وجعلت الحدود، قريبة من الغابات الاستوائية حيث توجد الآن بنين وغانا وتوجو وساحل العاج وليبيريا وسيراليون، ولما سقطت دولة مالي في عام ١٥٨٤م جاء دور دولة صنقي وعاصمتها "قاوا".

**دولة صنقي**: قامت دولة صنقي إثر سقوط دولة مالي، وبرز دورها في تعميق المفاهيم الإسلامية فقد استعان الملك أسكيا بالعلامة الجليل وأحد العلماء الثائرين الشيخ/ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم المقلبي الجزائري، وطلب منه تتبع جميع عادات صنقي ومحاوله الاعتماد عليها لأسلمة جميع المحاكم الشرعية، لأن الحكم قبل ذلك كان مزيجاً من

الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية، ويعتبر تسجيل هذه الأعراف بالجملة ومعرفة ما يصلح منها للحكم فيعتمد عليها في الحكم، ومعرفة ما يخالف الشريعة الإسلامية منها لنبذها والحكم بالإسلام بدلاً عنها أكبر أو أجل عمل قام به الملك أسكيا محمد الكبير الذي يقارن حجه بحج الملك منسا موسى المالي من حيث ضخامة الحج وكثرة رفاقه الذين ذهبوا إلى الأراضي المقدسة .

وبعد سقوط دولة صنقي سنة ١٥٩٤م . حدث ما يسمى بالثغرة التاريخية لأن سقوط دولة صنقي بضربات المغاربة السعديين الذين جاءوا طلباً للذهب حطم أكبر مملكة أو إمبراطورية جامعة لكل دول أفريقيا من داكار إلى بحيرة تشاد، والتي تسمى الآن بإفريقيا الغربية، حتى سكان الغابات الاستوائية على سواحل المحيط الأطلسي وإن لم يكونوا مسلمين كانوا خاضعين لحكم أسكيا محمد ولحكم دولة مالي .

فبعد هذا مرت فترة إنقراض خلاها عقد كل الدول الكبرى وقامت دويلات قبلية وقد قدرت هذه الفترة بمائة وأربعة وثلاثين عاماً وصادف هذا أن الغربيين جاءوا وأقاموا وكالة تجارية في جزيرة قوري بالقرب من داكار إلى بورت ديوا في الجابون وحتى موزمبيق وجاءوا بما لا يعد من صيادي البشر النحاسين . وأصبح ملوك هذه الدويلات عبارة عن زبائن كبار لهذه الوكالات ولكن في هذه الفترة ورغم أن هذا الخمول كان سائداً إلا أن طريقة القادرية كانت قد دخلت إلى غرب أفريقيا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وفي هذه الفترة تربي جيل من العلماء والشيخوخ الكبار الذين وصلوا درجة عالية من العلم وتركية النفس، وهنا تبدأ فترة تسمى بنهضة الفولان والتكارير .

**نهضة الفولان والتكارير:** بدأت نهضة الفولان والتكارير من نهاية فترة الركود في عام ١٦٠٤م واستمرت إلى نهاية أو وفاة الحاج/ عمر الفوتى في عام ١٨٦٤م . ففي هذه الفترة هب مشايخ التكارير والفولان في نواحي مختلفة . وقد بدأت هذه الثورة وتسمى

ثورة الأتمة في فوتاجالون في غينيا كوناكري الآن في عام ١٨٠٤م . وقد بدأت الثورة لأن ذلك الداعية الحكيم العلامة الصوفي الحكيم في دعوته، رفض الانصياع لأمر ملك قودي الذي كان من ملوك الأرض الكفرة ذلك لأن هذا الملك لما رأى انتشار الدعوة الإسلامية غاظه ذلك كمادة الكفرة، فأخذ ينهى المسلمين عن العبادة، ويمنع النساء المسلمات من ارتداء الزي الشرعي للمرأة المسلمة فلم يمتثلوا لأمره . ثم اصدر أمره العالي للشيخ يأمره فيه باعتزال جماعته والخروج من بينهم . فكان جواب الشيخ : أنا لا اعتزل جماعتي أولاً أخرج من جماعتي ، وإنما أخرج من بلادك وأرض الله واسعة . فلما استعد الملك للهجوم عليه وقمعه نصره الله عليه فقامت هناك دولة إسلامية .

وفي عام ١٨١٨م كان هناك شيخ من الفولان اسمه أحمد لوسون وكان من الذين تربوا عند الشيخ عثمان بن فودي ومن ساهموا في جهاده ، فأوفده الي إلى بلاه أسكيا ماسنا في جمهورية مالي الآن فيها دولة إسلامية . وفي سنة ١٨٥٤م بدأ المليون يفرقون بين الفوتي والتكارير . حيث لا يقولون لهم تكارير تقريباً شيء واحد إنما التكارير مولدون من الفولان والشعوب المحلية . بينما الفولان هم الصرحاء الباقون من أهل الفولاني . وإلا فاللغة واحدة وهم شعب واحد في الحقيقة .

وبعد وفاة الحاج/ عمر الفوتي في سنة ١٨٦٤م انتهت نهضة الفولان وقد كانت نهضة مباركة ، كاد الإسلام فيها يستولى على كل أفريقيا الغربية . لأنه كان قد نشأ الاجتماع بين سوكوودولة التجانية التي يقولون إنها نمت .

**العهد الاستعماري :** في الوقت الذي نشأ الاجتماع بين سوكوودولة التجانية جاء أحد أقطاب العهد الاستعماري . والعهد الاستعماري في الحقيقة عطل مسيرة الإسلام ولكن أفعاله كثيرة فالذي يتبع تاريخ الدعوة في أفريقيا في العهد الاستعماري يصدق تماماً الحديث " إن الله سبحانه وتعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " فماذا حدث ؟

تعرفون أن الطرق في غرب أفريقيا كانت غير آمنة فالذين كانوا يسرقون الناس ويبيعونهم للوكالات التجارية في الساحل من الملوك وغيرهم كانوا كثيرين جداً ولذلك كانت التجارة والصناعة وتعارف الناس فيما بينهم أموراً صعبة جداً بسبب وجود قطاع الطرق أو الخارجين على النظام والقانون والذين كانوا منتشرين في كل مكان فلما جاء الاستعمار وعمل على تأمين الطرق وفرض النظام أو القانون قتم اتصال الناس بعضهم ببعض وأخذ كل فريق المعارف والخبرات من الفريق الآخر .

وأيضاً في هذه الفترة وفي ضوء تلك الظروف التي ذكرتها كانت هناك حركات ردة كثيرة جداً وذلك لأن الأفريقيين كانوا يحترمون شيوخهم وكبراءهم ويجلونهم ، فكانوا كلما أسلم شيخ قبيلة أسلم جل قبيلته وكذلك الحال إذا أرتد شيخ قبيلة أرتد معه كثيرون ، وبمجيء عهد الاستعمار انتهت هذه الحركات . ولم يعد هناك أي ملك أو شيخ أو قوى يجبر أحداً من تابعيه على الردة هذا من ناحية . ومن جهة أخرى فلإن المدن الكبيرة التي أسسها الاستعمار مثل داكار وباماكو وساحل العاج ، هذه المدن الكبيرة وما فيها من مصانع وأغلب سكانها من المسلمين جعل الوطنيين مضطرين إلى النزول إلى تلك المدن لطلب العمل والأغراض أخرى ، وتبع عن ذلك إسلام الكثيرين منهم نتيجة لاحتكاكهم بالمسلمين .

وهناك كتاب بالفرنسية بعنوان "الإسلام في غرب أفريقيا" قام بتأليفه رجل كان والياً على غرب أفريقيا يقول في هذا الكتاب : "إننا كلما حاربنا الإسلام زدناه قوة" ويضرب مثلاً لذلك فيقول : "لما مددنا السكك الحديدية من داكار إلى باماكو وإلى مدينة كلوكو وأردنا أن نصل السكة بنهر النيجر لكي تصل البضائع إلى تمبكتو إلى قواوا اضطررنا إلى بناء مرافق خدمية للقادمين من داكار ومخازن للأمتعة والبضائع التي تأتي من داكار . ولكن ماذا حدث ؟ يقول المؤلف "إن قبائل الموسى في بوركينا فاسو والتي كانت



ممتعة على الإسلام أخذنا منهم عمالاً ولكمهم باحتكاكهم مع المالبين المسلمين أخذوا يعتقون الإسلام. قال: فقلنا إذا هؤلاء الذين اخترناهم لحصرهم في هذا المكان ولم نستعمل معهم المسلمين أخذوا يسلمون بالاحتكاك مع المسلمين، فلا بد أن ننقلهم إلى مخازن الخشب في ساحل العاج فنقلناهم. وهناك سمعوا بأن الأعمال في غانا المجاورة لساحل العاج أخف وأكثر راتبا قتلوا إليها فرداً فرداً احتكوا بالمسلمين فأسلموا وبعد مدة جاءوا إلى بوركينا فاسو يبشرون بالإسلام. وكذلك يقول في الجنود ترى الواحد منهم يأتي إلى الجندية وهو وثني أو مسلم لا يعرف عن الإسلام شيئاً. ولكن بعد مدة ترى أن هؤلاء المسلمين علموه القرآن فأخذ يقرأ ويكتب وتراه قد أسلم غالباً إن كان وثنياً، أما المسلم فتراه قد أزداد علماً وإيماناً.

إذا في الحقيقة الإسلام انتشر انتشاراً واسعاً في غرب أفريقيا أثناء العهد الاستعماري. وكما نعرف فإن الغابات الاستوائية وما وراءها كانت ممتعة عن الإسلام بطبيعتها. ولكن في العهد الاستعماري لما مدت طريق البواخر من داكار إلى بورت ديبوا في الجابون وأخذ الناس يسافرون ذهاباً وإياباً، وكذلك المعلمون الذين كانوا يستجلبون إما من السنغال وإما من نيجيريا ومنهم موظفون في الإدارات المختلفة، ومنهم جنود هؤلاء هم الذين نشروا الإسلام في ساحل العاج وفي غانا زيادة على التجار الذين كانوا يركبون البواخر ويمرون على مدن كوناكري ومدن سيراليون ومدن ليبريا ومدن ساحل العاج، فعلى أيدي هؤلاء جميعاً انتشر الإسلام.

وخاتمة الدعاة العاملين الإمام ساموري وهو من الدعاة الكبار الذين جابهوا الاستعمار واجتهدوا في نشر الإسلام وقد توفى محبوساً في الجابون عام ١٩٠٠م، وبعد هزيمته على أيدي الفرنسيين التجأت بقية جيشه إلى أقصى نقطة في ساحل العاج عند ساحل المحيط واستطاعوا بذلك من أن يكملوا ويدخلوا الإسلام إلى جنوب ساحل العاج

الذي كان ممنوعاً عن الإسلام بينما كان الإسلام قد دخل شمال ساحل العاج بسبب التجار الذين وفدوا من مالي ومن غانا في القرن السادس الهجري . وفي العهد الاستعماري كذلك استطاع الإسلام أن يصل اليابسة بالمحيط وينتشر في كل هذه الرقعة .

**عهد الإستقلال :** ويمثل عهد الاستقلال الطور الأخير من أطوار الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا ويبدأ هذا الطور من عام ١٩٦٠ م . فقد استقلت الدول الأفريقية كلها تقريباً في هذه الفترة . علماً بأن الحربين العالميتين الأولى والثانية ، قد أحدثتا اختلافاً كبيراً بين الشعوب ، وكذلك فإن تقدم وسائل الإعلام والنشر جعل الناس والقراء منهم خاصة يفتحون على العالم الآخر .

ومن ثم بدأ منذ الأربعينات هجرة الشباب وخروجهم من أفريقيا إلى العالم العربي طلباً للعلم فتوجهوا إلى الأزهر الشريف وإلى معاهد الحرمين الشريفين وإلى بلاد عربية أخرى وإلى الزيتونة وإلى كل مكان يمكنهم من العلم وفي أواسط هذا القرن ١٩٥٠م ظهرت حركة التجديد الإسلام في غرب أفريقيا ، وقد بدأت هذه الحركة في الحقيقة كحركة تعمل على توعية الناس وتبصيرهم بواجباتهم وحقوقهم . وتركز خطابها على مناهضة الاستعمار وكذلك مناهضة الطرق الصوفية ودامت على هذا النهج مدة ودخل فيها كثير من الناس باعتبارها حركة سياسية تسعى لطرد الاستعمار عن البلاد ولما استقلت السنغال وغيرها من الدول خرج من هذه الحركة كل الذين اعتبروها حركة سياسية لاعتقادهم بأن العمل الذي نذروا أنفسهم له قد أنجز حسب رأيهم . ذلك لأنهم رأوا أن معارضة الفرنسيين كانت سبباً لاستمرار هذه الحركة ، وقد خرج الفرنسيون ، إذاً فلاداعي للبقاء في هذه الحركة وقد أحدث هذا ضعفاً للحركة .

ولكن في أواخر الستينات وتحديداً في عام ١٩٦٨م جاءت جماعة التبليغ إلى السنغال فعرفوا الناس بهم ورافقهم بعض أعضاء هذه الجمعيات لتعلم طريقة الدعوة لديهم إلى

المغرب وإلى أماكن مختلفة . فلما رجعوا حاولوا تطبيق هذا المنهج ولكن العادات السنغالية خاصة لا تقبل مثل هذا العمل ففي السنغال لا يمكن أن تجدد ضيوفاً ينزلون في ساحة القرية أو المسجد ويطنخون بأنفسهم ولا يأكلون مع الناس . فالسنغالي يهتم بإكرام ضيوفه والسهر على راحتهم . إذا لقي هؤلاء الدعاة الجدد الذين تدرّبوا على أعمال الدعوة لدى جماعة التبليغ صعوبات جمّة وقفت في طريقهم . ولكن ماذا استفادوا ؟ استفادوا من ذلك تخفيف الخطاب وتجنبوا إثارة الخلاف وأسكوا عن الكلام عن الطرق الصوفية والمشايخ وجعلوا خطاباً للدعوة ، وخطاباً للإرشاد . خطاب الدعوة هو خطاب داعية يخاطب أناس ربما لا يصدقونه لأنه جاء إليهم لأول مرة وهم على آراء مختلفة . فإذا أراد أن يستفيد منهم فعليه أن يتجنب كل ما يثير الخلاف وهناك رؤية إسلامية يقبلها كل المسلمين مهما اختلفوا . إذا يقتصرون على هذه المسائل في خطاب الدعوة أما في خطاب الإرشاد حيث تربي الجماعة المنتمن إليها تربية داخلية فهناك يمكن إثارة مسائل الخلاف ومناقشتها خلافاً لخطاب الدعوة ومن هذه الناحية استفادوا استفادة كبيرة جداً من جماعة التبليغ .

ومن ناحية أخرى استفادوا منهم في تركيبة النفس . وتعرفون أن جماعة التبليغ مجتهدون في تركيبة النفس بينما الحركة الإسلامية أصلاً كانت حركة ثقافية تقريباً تنبه العقول أكثر مما تنبه القلوب ولكن الاحتكاك مع جماعة التبليغ أتى بفائدة ثانية هي محاولة شيء من تركيبة النفس على قواعد سنية لا بدعة فيها .

**دور الطرق الصوفية :** تشمل الطرق الصوفية الموجودة في غرب أفريقيا القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني المولود في عام ٤٧٠هـ ، والتجانية نسبة إلى الشيخ أبو العباس أحمد التجاني الجزائري الذي هاجر إلى المغرب أخيراً وأسس الطريقة التجانية وهو من مواليد ١١٥٠هـ والطريقة المرينية وطريقة أهل الله ، والطريقة السنوسية ،

والطريقة الشاذلية . وأكثر الطرق الصوفية أتباعاً بالنسبة إلى كل أفريقيا هي القادرية ، ولها سلسلتان سلسلة الفوتين وأخذت من الشيخ عبد الكريم المقبلي الجزائري الذي ذكرناه عند حديثنا عن دولة صنقي ، وهناك سلسلة أخرى هي سلسلة الفاضل المأخوذة من الشيخ محمد بن الفاضل بن محمد الموريتاني ، وهم يقولون أنه أخذ الورد من شيخ سوداني اسمه محمد الأخضر ، ومحمد الأخضر هذا لم أجده في المراجع التي اطلعت عليها ولعله إذا لم يقصد بالسوداني رجلاً أسود وقصد ساكن السودان فأهل السودان بلا شك يعرفون هذا الشيخ .

أما الطريقتان السنوسية والشاذلية فتوجدان في بعض أنحاء من موريتانيا وبعض الفوتين ، وفي نواحي النيجر ونيجيريا . أما طريقة أهل الله فتتخصص في مدينة " يوف " قرب داكار وليست طريقة واسعة ومؤسسها الشيخ لبا راي الذي دُعي بالإمام عند أتباعه السنغاليين . أما في السنغال فأكثر الطرق الصوفية أتباعاً هي التجانية تليها المرينية فالقادرية ثم أهل الله . وأشير هنا إلى أن الطرق الصوفية قد اضطلعت بدور هام جداً في الدعوة إلى الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية ولا سيما القادرية وشيخ بعض الطرق الأخرى .

**الطرق الصوفية في مواجهة الاستعمار :** لقد وقف شيخ الطرق الصوفية في وجه الاستعمار ورفعوا رايات الجهاد . فكان الشيخ من جميع الطرق الصوفية مجاهدين ولكن عندما غلبهم المستعمر نزع منهم السلاح إلا أنهم لم يستكينوا ولم يركعوا إلى سلطانهم ولكنهم جعلوا التصوف أمراً جماهيرياً بعد أن كان أمراً للنخوص ، وفتحوا بذلك الباب للعامة وتمكنوا بذلك من جذب كل الناس إلى الإسلام باسم هذه الطرق . وأما قبل ذلك فقد كان التصوف في غرب أفريقيا تصوفاً مسلحاً ، فلما نزع منهم السلاح وقسمت الدنيا إلى منطقتين : منطقة الدنيا وهي للمستعمرين ومنطقة الآخرة وهي لأهل الدين ، سُدَّت

## الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا

أمامهم طريق الجهاد ولذلك اتجهوا إلى تعميم التصوف، ودعوا جميع الناس إليه لا الخواص فحسب كما كان الحال فيما سبق - فتمكنوا بهذا من حماية كثير من الناس من التنصر . وهناك مرید يمدح شيخه فيقول : لولا ظهور هذا الشيخ لتنصر الولف ولو تنصروا لذهبوا إلى النار - وهذه حقيقة فلإن استيلاء فرنسا على السنغال وتمكن الإرساليين من رجال الكنيسة من التغلغل في كل أراضي أفريقيا - ولا شك في أن السنغال لو تنصرت أو تنصر أكثر أهلها لتنصر أكثر غرب أفريقيا ، إذاً ظهور هؤلاء المشايخ في هذا العصر وتحويل منتهجهم في الدعوة من التخصص إلى التعميم كان ذا فائدة .

**الحركات الإسلامية في غرب أفريقيا** : يوجد في غرب أفريقيا كبر من الحركات الإسلامية أو التيارات الإسلامية ، ومن ذلك جماعة التبليغ التي تنتشر في كثير من أنحاء غرب أفريقيا وهناك التيار السلفي وهي أقدم الحركات الإسلامية - تقريباً - وظهرت لأول مرة في مالي بواسطة التجار والحجاج الذين ذهبوا إلى مكة ولأنهم فقراء ولا يملكون مؤنة السفر الكافية فقد اضطروا إلى البقاء هناك للعمل وكسب الرزق ثم جاءوا بعد ذلك بتصحيح العقيدة ، وهناك الحركة الشمولية التي تؤمن بشمولية الإسلام وهيمنت على كل الحياة - وهناك الحركة الأخلاقية التي تؤمن بالإصلاح الأخلاقي - كما توجد الحركة التعليمية التي تقتصر على التعليم هذا إضافة إلى الجمعيات الكثيرة التي لا يمكن حصرها على الأقل في هذه العجالة .

لقد تضافرت جهود الصوفية والحركات الإسلامية المختلفة على نشر الإسلام في غرب أفريقيا والذود عن بيضته ولذلك نقول في تعريفنا للعمل الإسلامي في السنغال أنه كل جهد يقصد به العمل للإسلام كله أو جزء منه حتى لا يخرج أي حركة من الحركات أو تسقط جهودها في نشر الإسلام .

هذا في الحقيقة سرد مختصر وتهيد رأيت أنه لا بد منه لمعرفة أن الدعوة في غرب

أفريقيا كما يقولون " فولاني " دعوا كلهم إلى غاية واحدة هي جذب الناس إلى الإسلام ولكن كل جيل من الدعوة استخدم الوسائل المناسبة لعصره ، فإذا الجماعة الإسلامية الحديثة لا يجب أن تلام لأنها تخلت عن سياسة الطرق الصوفية في الدعوة . كما لا يجب أن يلام شيوخ الطرق الصوفية الذين تخلوا عن الجهاد وكان أسلافهم من الشيوخ مجاهدين . فإذا كانت عوامل العصر أو ظروفه واختلافاتها لا تسمح بأن يكون الجهاد لأن العصر لا يسمح به ، فليسمحوا لنا أيضاً بأن نستعمل الوسائل المناسبة لهذا العصر ، وهذا يفهمه كثير من الناس ويقبلونه - وهذا التمهيد في نظري ضروري للذين يريدون الإطلاع على تاريخ الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا . على أمل أن أردفه بمحدث آخر في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى عن حاضر الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا أو ببني عليه غيري والله ولي التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،، .

---

# القراءات

